المحاضرة الأولى: الاستشراق الفرنسي في الجزائر

يعد الاستشراق ذاك التيار الفكري الغربي المتمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضاراته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. وقد أسهم الاستشراق الفرنسي بدورٍ ريادي ٍّ في صياغة التصورات الغربية عن المشرق والمغرب بصورةٍ خاصةٍ، إذ منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث شهدت فرنسا دورًا متناميًا في التأسيس لحركة الاستشراق باعتبارها نقطة ارتكازٍ رئيسةٍ في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب .

تعريف الاستشراق لغة: كلمة استشرق تعني« طلب علوم الشرق ولغاتهم» ، والشرق، يعني أيضا الشمس، أو الجهة التي تشرق منها

أما اصطلاحًا، فالاستشراق :orientalisme يعني «علم الشرق أو علم العالم الشرقي» كما يقصد به تلك الدراسة الغربية للشرق كدراسة العلوم والآداب والثقافة الاسلامية بهدف معرفية عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاهاتهم وأسباب قوتهم ومواطن ضعفهم.

وقد عرفه حسن الزيات على أنه« دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه، وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطير لكنه في العصر الوسيطية كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما شعته منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب من الجهل والبربرية.

ويعرف كذلك على أنه « اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.

تعريف المستشرق:«هوعالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه» وليس من الضروري أن يرحل هذا المشتشرق إلى الشرق ليعيش فيه أو يتطبع بطباعه أو حضارته أو يعتنق إسلامه أو يتحدث لغته، فهو يدرس هذا الشرق من خلال الجامعات الغربية في وطنه، وان كان رحيله إلى الشرق يساعده على الإلمام بكل واردة وشاردة في أبحاثه ودراساته .

كما أن المستشرق هو كل من يقوم بدراسة الشرق أو الكتابة عنه أو البحث فيه، سواءً أكان المرء مختصًّا بعلم الإنسان أو بعلم الاجتماع أم كان مؤرخًا أو فقيهَ لغةٍ... ، فهو مستشرقٌ وما يقوم به هو استشراقٌ.

الجذور التاريخية للاستشراق

لا يوجد اتفاق بين الباحثين على تحديد البدايات الأولى لظهور الاستشراق فمنهم من أرجعها إلى القرون الأولى للميلاد ;ومنهم من أرجعها الازدهار والتطور الذي عرفه العالم الاسلامي خلال الحقبة الأندليسة حيث

«انتشرت المدارس والجامعات عبرالعالم الاسلامي، وذاع صيتها في الدول الأوروبية كفرنسا وانجلترا وهولندا التي قامت بارسال البعثات العلمية إلى بلاد الأندلس لدراسة العلوم والفنون في معاهدها» ومنهم من يرى أنه جاء كرد فعل من الغرب على الإسلام قصد معرفة القوة الدافعة لأبنائه وخاصة بعد فتح القسنطنطينية على يد محمد الفاتح عام 1453م، فاهتموا بدراسة اللغة العربية وآدابها وتفاسيرها وأديان الشعوب التي أرادوا استعمارها، ومنهم من يرى أن بداية ظهور الاستشراق كانت مع الرهبان الذين قصدوا الأندلس إبان مجدها طلبا للعلم، ومنهم من جعل الحروب الصليبية بداية لنشأة الظاهرة الأستشراقية، حيث بدأ الاحتكاك الديني والسياسي بين الإسلام والنصرانية.

مراحل الاستشراق: مر الاستشراق بمجموعة من المراحل

المرحلة الأولى: وتمتد قبل عصر النهضة الأوروبية حيث كانت بدايته فردية وغير منتظمة ليتطور وينظم في مؤسسات رسمية خاصة كالجامعات والمعاهد، وقد اتسم بالصراع والعداء للإسلام.

المرحلة الثانية: وتمتد من عصر النهضة حتى نهاية القرن 18م وقد اتسم بالنزعة الانسانية والعقلية، وقد كانت هاتان النزعتين في دراسة الشرق الإسلامي أكثر موضوعية وأكثر عقلانية.

المرحلة الثالثة: تمتد من من القرن 19م إلى يومنا هذا وقد غلب عليه العداء للشرق والإسلام وكتب الكثير من المفكرين عن نشأة الاشتشراق وتاريخه .

أهداف الاستشراق ودوافعه : تنوعت أهداف الاستشراق ودوافعه تبعاً لمكانة المستشرق والجهة التي تتبناه

1- الدافع الديني: ويعتبر الهدف الأبرز للاستشراق الذي نشأ منذ بدايته في رعاية الكنيسة التي جندت كل طاقاتها لمحاربة الدين الإسلامي وتشويه صورته خاصة بعد انتشاره في أوروبا حيث « سعى الرهبان والقساوسة إلى تعلم اللغة العربية والتضلع في الدراسات الإسلامية بغية فهم هذا الدين ثم نقضه من أساسه ورد أتباعه إلى دياناتهم» وهنا يظهر خوف رجال الكنيسة على دينهم المسيحي المحرف وتيقنهم أن«الإسلام دين الفطرة وإذا أتيح لغير المسلمين التعرف عليه ودراسته في جو من الاتزان لما ترددوا في الإيمان والرضا به دينا». وقد جاء الاستشراق بديلاً عن الحروب الصليبية لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم، والعمل على نشر عقيدة النصارى، ولتحقيق هذا الغرض عملوا على محاربة الإسلام عبر تنصير المسلمين، ومحاولة حجب الإسلام الحق عن الأوروبيين وبث دراسات منحازة ضد الإسلام.

2- الدافع السياسي: وهو الصراع القائم بين الشرق والغرب وقد ساهم في ذلك «تشجيع رجال الدين للساسة الأجانب لاحتلال بلاد الشرق التي تحوي المقدسات الدينية معوضين الخسائر التي مني بها الغرب مرارا وتكرارا في اعتدائه على الشرق، خاصة في فترة الحروب الصليبية» وقد زاد هذا الصراع مع بداية

التوسع الاستعماري في دول العالم العربي والاسلامي خلال ق19م وق20م، والتكالب الذي تبديه أمريكا وحلفائها على دول العالم الثالث خاصة بعد أحداث 11سبتمبر2001 المفتعلة خير دليل على ذلك .

3- الدافع العلمي: لم تكن أوروبا تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ومنها دراسة منجزات الحضارة الاسلامية، فلم يترك العلماء الغربيون مجالا كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها وأخذوا منها ، ولم يقفوا عند هذا بل نقلوا إلى أهليهم في الغرب ما أخذوه عن المسلمين من علوم حتى يتفوقوا عليهم، ويتخلصوا من سيطرتهم، وظل هؤلاء المستشرقون يدرسون وينقلون تلك العلوم على يد العرب والمسلمين محتفظين لأنفسهم بعقائدهم واتجاهاتهم البغيضة نحو الإسلام والمسلمين، « ولهذا نرى في فجر الاستشراق انكبابا واضحا على العلوم الكيمائية والرياضية والفلسفية من رواد الاستشراق وكبار الرهبان، فقد تأسست الجمعيات العلمية في معظم الدول الغربية، وهو غرض علمي يستهدف انهاض الغرب» لتحقيق إقلاع حضاري وثقافي في مختلف الجوانب.

4- الدافع الإقتصادي والتجاري: سعت الدول الغربية البحث عن أسواق خارجية لبيع بضائعها واكتساب مواد أولية خام لتزويد صناعتهم وتطويرها ولم يقتصرالاستشراق الاستثمار التجاري على المواد الأولية المادية فقط بل تعداه إلى المادة الثقافية كنهضة لطلب الرزق إذ هناك «كثيلا من أصحاب المكتبات التجارية والقائمين عليها يشجعون نشر المؤلفات والكتب التي تدور حول الاسلاميات والشرقيات ويشرفون على نشرها، لما يدور لها من سوق نافعة في أوروبا وآسيا، وتناول هذه المؤلفات من القبول والإعجاب ، مما يجعلها عظيمة الانتشار، كثيرة الذيوع، ولاشك أنها وسيلة لتجارة رابحة وكسب أموال طائلة.

5- الدافع الاستعماري: وهذا ما يؤكد العلاقة المرتبطة بين الاستشراق والاستعمار فكل منهما يكمل الآخر فقد كان «التبرير الاستشراقي للسيادة الاستعمارية قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق وليس بعد حدوثها، فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته، من أجل فرض السيطرة على الشرق واخضاع شعوبه وإذلالها » وما يؤكد ما نذهب إليه هو «اعتماد نابليون بونابرت قائد الغزو الفرنسي على مصر على جهود المستشرقين والأخذ بمشورتهم وتوجيههم واستخدام معرفتهم بالاسلام والمسلمين في الأغراض الاستعمارية بفرض السيطرة والتوسع وهذا ما يؤكد العلاقة المشبوهة بين المستشرق والمستعمر، إذ نجد أن الاستشراق الفرنسي في بداياته الأولى قد ضم بين صفوفه الكثير من ضباط القوات المسلحة الفرنسية، وأتاح لهم عملهم في المستعمرات الفرنسية النبوغ في ميدان الدراسات الشرقية في مختلف جوانبها .